www.doaah.com

خطبة الجمعة

بقلم

الدكتور عبد الغني الغريب طه راجح

جريدة صوت الدعاة الإلكترونية
رئيس التحرير د احمد رمضان
مدير التحرير الشيخ محمد القطاوي
www.doaah.com

ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ

بقلم الأستاذ الدكتور عبد الغني الغريب طه

18 محرم 1448هـ ، الموافق 3 يوليو 2026م

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَلَّ عَنِ الشَّبِيهِ وَالْمَثِيلِ وَالْكُفْءِ وَالنَّظِيرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُهُ، وَخِيَرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، أَرْسَلَهُ رَبُّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْعِبَادِ أَجْمَعِينَ، فَهَدَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، وَكَثَّرَ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَأَغْنَى بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ، وَلَمَّ بِهِ بَعْدَ الشَّتَاتِ، وَآمَنَ بِهِ بَعْدَ الْخَوْفِ، فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، مَا اتَّصَلَتْ عَيْنٌ بِنَظَرٍ، وَوَعَتْ أُذُنٌ بِخَبَرٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ: إِنَّهَا الْيَوْمَ شَهَادَةٌ فِي بَلَدِ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّهَا شَهَادَةٌ فِي مَسْكَنِ الْعُلَمَاءِ، إِنَّهَا رِسَالَةٌ إِلَى بَلَدِ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ، إِنَّنِي أَتَحَدَّثُ الْيَوْمَ عَنْ أُمِّ الدُّنْيَا، دَعُونِي أَتَحَدَّثُ عَنْ مِصْرَ..

مَنْ شَاهَدَ الْأَرْضَ وَأَقْطَارَهَا

وَالنَّاسَ أَنْوَاعًا وَأَجْنَاسًا

وَلَا رَأَى مِصْرَ وَلَا أَهْلَهَا

فَمَا رَأَى الدُّنْيَا وَلَا النَّاسَا

هِيَ أُمُّ الْبِلَادِ، وَهِيَ أُمُّ الْمُجَاهِدِينَ وَالْعُبَّادِ، قَاهِرَةُ الْأُمَمِ، وَصَلَتْ بَرَكَاتُهَا إِلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، هِيَ بِلَادٌ كَرِيمَةُ التُّرْبَةِ، مُؤْنِسَةٌ لِذَوِي الْغُرْبَةِ، فَكَمْ لِمِصْرَ وَأَهْلِهَا مِنْ فَضَائِلَ وَمَزَايَا، وَكَمْ لَهَا مِنْ تَارِيخٍ فِي الْإِسْلَامِ وَخَفَايَا، مُنْذُ أَنْ وَطِئَتْهَا أَقْدَامُ الْأَنْبِيَاءِ الطَّاهِرِينَ، وَمَشَتْ عَلَيْهَا أَقْدَامُ الْمُرْسَلِينَ الْمُكَرَّمِينَ وَالصَّحَابَةِ الْمُجَاهِدِينَ.

إِذَا ذَكَرْتَ الْمِصْرِيِّينَ ذَكَرْتَ الْكَعْبَةَ وَالْبَيْتَ الْحَرَامَ، فَإِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَرْسَلَ إِلَى عَامِلِهِ فِي مِصْرَ أَنْ يَصْنَعَ كِسْوَةً لِلْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ، فَصُنِعَتِ الْكِسْوَةُ مِنْ عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَظَلَّتْ كِسْوَةُ الْكَعْبَةِ تُصْنَعُ هُنَاكَ فِي مِصْرَ سَنَةً تِلْوَ سَنَةٍ، حَتَّى مَرَّتْ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ وَكِسْوَةُ الْكَعْبَةِ تُرْسَلُ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَكَّةَ، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ ذَلِكَ إِلَّا قَبْلَ قَرَابَةِ الْمِائَةِ سَنَةٍ.

إِذَا ذَكَرْتَ الْمِصْرِيِّينَ ذَكَرْتَ الْحُجَّاجَ وَالْمُعْتَمِرِينَ، فَإِنَّ الْبَعْثَةَ الطِّبِّيَّةَ الْمِصْرِيَّةَ كَانَتْ فِي الْحَجِّ لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ هِيَ أَبْرَزُ مَا يَنْفَعُ الْحُجَّاجَ فِي عِلَاجِهِمْ، يَأْتُونَ مِنْ أَقْطَارِ الدُّنْيَا لِأَجْلِ أَنْ يَلْتَقُوا بِهَذِهِ الْبَعْثَةِ الْمِصْرِيَّةِ.

إِذَا ذَكَرْتَ الْمِصْرِيِّينَ، إِذَا ذَكَرْتَ الدِّفَاعَ عَنْ فِلَسْطِينَ، وَذَكَرْتَ الْجِهَادَ وَالْمُجَاهِدِينَ، فَصَلَاحُ الدِّينِ أَقَامَ بِمِصْرَ، وَكَثِيرٌ مِنْ قُوَّادِهِ مِنْهَا، وَأَبْرَزُ الْمَعَارِكِ مَعَ الْيَهُودِ قَادَهَا مِصْرِيُّونَ.

إِذَا ذَكَرْتَ الْمِصْرِيِّينَ ذَكَرْتَ أُمَّنَا هَاجَرَ وَمَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةَ، ذَكَرْتَ أَخْوَالَ رَسُولِنَا وَأَصْهَارَ نَبِيِّنَا، لَا، لَنْ أَشْهَدَ الْيَوْمَ لِمِصْرَ، فَمَا مِثْلِي يَشْهَدُ لِمِثْلِهَا، بَلْ سَأَخْطُبُ عَنْ كَوْكَبَةِ الْعَصْرِ، وَكَتِيبَةِ النَّصْرِ، وَإِيوَانِ الْقَصْرِ. سَأَتَكَلَّمُ عَنْ أُمِّ الْحَضَارَةِ، وَأُمِّ الْمَهَارَةِ، وَمُنْطَلَقِ الْجَدَارَةِ.. نَعَمْ سَأَخْطُبُ عَنْ أَرْضِ الْعِزِّ، وَعَنْ بِلَادِ الْقُطْنِ وَالْبَزِّ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ: ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِصْرَ فِي الْقُرْآنِ، وَبَيَّنَ اسْمَهَا صَرِيحًا فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ فِي كِتَابِهِ تَشْرِيفًا لَهَا وَتَكْرِيمًا، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ) [يُوسُفَ: ٢١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) [يُوسُفَ: ٩٩].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) [يُونُسَ: ٨٧].

وَقَالَ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْ فِرْعَوْنَ لَمَّا قَالَ: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ) [الزُّخْرُفِ: ٥١].

ليسَ هذا فقطُ، بلْ أشارَ اللهُ تعالى إلى مِصرَ في ثلاثينَ موضعًا في القرآنِ، كقولِهِ جلَّ وعلا: (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ) [القصصِ: ١٥]، يعني: مِصرَ.

وقولِهِ جلَّ وعلا: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) [الأعرافِ: ١٠٩]، إلى آخرِ هذهِ المواضعِ.

إنَّ مِصرَ أيُّها المسلمونَ هيَ الأرضُ الطيبةُ التي طهَّرَها اللهُ تعالى منْ فرعونَ وقومِهِ.

مدحَ اللهُ تعالى مِصرَ بأنَّ فيها خزائنَ الأرضِ بشهادةِ يوسفَ عليهِ السلامُ: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) [يوسفَ: ٥٥].

ولمْ يذكرِ اللهُ تعالى قصةَ نهرٍ في القرآنِ إلا نهرَ النيلِ، قالَ جلَّ وعلا: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [القصصِ: ٧]، يعني في نيلِ مِصرَ.

قالَ الكنديُّ: لا يُعلمُ بلدٌ في أقطارِ الأرضِ أثنى اللهُ تعالى عليهِ في القرآنِ بمثلِ هذا الثناءِ، ولا وصفَهُ اللهُ بمثلِ هذا الوصفِ، ولا شهدَ لهُ بالكرمِ غيرُ مِصرَ.

نعمْ، إنَّني أتكلمُ عنْ مِصرَ، أوصى النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ الأمةَ كلَّها بمِصرَ وبأهلِها، فقالَ. بأبي هوَ وأمي: «إذا افتتحتمْ مِصرَ فاستوصوا بالقبطِ خيرًا، فإنَّ لهمْ ذمةً ورحمًا.»

وفي لفظٍ قالَ: «فإنَّ لهمْ ذمةً وصهرًا». رواهُ مسلمٌ.

هاجرُ زوجةُ إبراهيمَ عليهِ السلامُ، وهيَ أمُّ إسماعيلَ جدِّ نبينا عليهِ الصلاةُ والسلامُ، هيَ مصريةٌ منَ القبطِ، ومارية سريةُ رسولِ اللهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وأمُّ ولدِهِ إبراهيمَ هيَ مصريةٌ أيضًا.

ولذلكَ قالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرو بنِ العاصِ رضيَ اللهُ تعالى عنهما: قبطُ مِصرَ همْ أخوالُ قريشٍ مرتينِ.

وقالَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «إنكمْ ستفتحونَ مِصرًا، أحسنوا إلى أهلِها، فإنَّ لهمْ ذمةً ورحمًا». رواهُ مسلمٌ.

فهيَ وصيةٌ للأمةِ كلِّها، لكلِّ منْ تعاملَ معَ المصريينَ أنْ يُحسنَ إليهمْ، وأنْ يُكرمَهمْ، وأنْ يعرفَ قدرَهمْ، وأنْ يقفَ معهمْ عندَ حاجتِهمْ، وأنْ ينصرَهمْ عندما يؤدونَ الهديةَ إليهمْ منْ أفضلِ الهدايا، بلْ إنَّ أذيتَهمْ منْ أعظمِ الرزايا.

ولمْ يكتفِ نبينا صلى اللهُ عليهِ وسلمَ بمدحِ مِصرَ وأهلِها، بلْ أمرَ بالإحسانِ حتى إلى أقباطِها، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «اللهَ اللهَ في قبطِ مِصرَ، فإنكمْ ستظهرونَ عليهمْ، ويكونونَ عليكمْ عدةً وعونًا في سبيلِ اللهِ». رواهُ الطبرانيُّ.

نعمْ، وكمْ يسرُّنا اليومَ. واللهِ. منْ تآلفٍ بينَ مسلمي مِصرَ وبينَ أقباطِها. نسألُ اللهَ جلَّ وعلا أنْ يجمعَهمْ جميعًا على العقيدةِ الصحيحةِ التي بعثَ اللهُ تعالى بها عيسى، وبعثَ بها محمدًا، وبعثَ بها جميعَ الأنبياءِ عليهمُ السلامُ، وهيَ أنْ يُعبدَ اللهُ تعالى وحدَهُ لا يُشركَ بهِ شيئًا.

أيُّها الإخوةُ المسلمونَ: الإسلامُ فيكمْ وجدَ أعيادَهُ، وكنتمْ يومَ الفتحِ أجنادَهُ، وكنتمْ عامَ الرمادةِ مدادَهُ، وأحرقتمُ العدوانَ الثلاثيَّ وأسيادَهُ، وحطمتمْ خطَّ بارليفَ وعتادَهُ، وكنتمْ يومَ العبورِ أسيادَهُ وقوادَهُ.

يُّها الإخوةُ المسلمونَ: إنَّ في أرضِكمُ الواديَ المقدسَ طُوًى، وفيها الجبلُ الذي كلَّمَ اللهُ عليهِ موسى عليهِ السلامُ، وفيها الجبلُ الذي تجلَّى اللهُ سبحانهُ إليهِ، فانهدَّ الجبلُ دكًّا، وهيَ مُبَوَّأُ الصدقِ الذي قالَ اللهُ تعالى عنهُ: (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ) [يونسَ: ٩٣].

وفي أرضِكمْ يجري نهرُ النيلِ المباركُ الذي ينبعُ في الأساسِ منَ الجنةِ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «النيلُ وسيحانُ وجيحانُ والفراتُ منْ أنهارِ الجنةِ». رواهُ مسلمٌ.

وفي أرضِ مِصرَ الربوةُ التي آوى إليها عيسى عليهِ السلامُ وأمُّهُ. قالَ جلَّ وعلا: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) [المؤمنونَ: ٥٠].

وعلى أرضِ مِصرَ ضربَ موسى عليهِ السلامُ بعصاهُ فانفلقَ الحجرُ لهُ ماءً، وانشقَّ البحرُ لهُ، فكانَ كلُّ فرقٍ كالطودِ العظيمِ.

نعمْ، إنَّها مِصرُ، إذا أردتَ القرآنَ وتجويدَهُ فالتفتْ إلى مِصرَ..

إذا أردتَ اللغةَ والفصاحةَ فإنَّكَ تنتهي إلى مِصرَ..

إذا أردتَ الأخلاقَ الحسنةَ، وحلاوةَ اللسانِ، وحلاوةَ التلاوةِ والقرآنِ، فالتفتْ لزامًا إلى مِصرَ..

إنَّنا لا نتحدثُ عنْ بلدٍ عاديّ، إنَّنا نتحدثُ عنْ بلدٍ عظيمِ القدرِ، جليلِ الشأنِ، أشارَ اللهُ تعالى لكبرِ مِصرَ، وأشارَ لعظمِ مساحتِها، فقالَ جلَّ وعلا: (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) [الشعراءِ: ٥٣].

وهذا يدلُّ على كثرةِ مدنِها، وعظيمِ شأنِها ومكانتِها.

ومنذُ القديمِ افتخرَ الهالكُ فرعونُ أنَّهُ يملكُها دونَ غيرِها، فقالَ كما حكى اللهُ جلَّ وعلا عنهُ: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ) [الزخرفِ: ٥١].

قالَ عمروُ بنُ العاصِ: ولايةُ مِصرَ جامعةٌ تعدلُ الخلافةَ. يعني أنَّ كلَّ بلادِ الإسلامِ في كفةٍ، وإنَّ الذي يتولى ولايةَ مِصرَ يكونُ قد أخذَ الكفةَ الأخرى.

وقالَ سعيدُ بنُ هلالٍ: إنَّ مِصرَ أمُّ البلادِ، وغوثُ العبادِ.

إنَّ مِصرَ مصورةٌ في كتبِ الأوائلِ، وقد مدتْ إليها سائرُ المدنِ يدَها تستطعمُها، وذلكَ لأنَّ خيراتِها كانتْ تفيضُ على تلكَ البلدانِ.

قالَ الجاحظُ: إنَّ أهلَ مِصرَ يستغنونَ بما فيها منْ خيراتٍ عنْ كلِّ بلدٍ، حتى لو ضُربَ بينَها وبينَ بلادِ الدنيا بسورٍ ما ضرَّهمْ.

في مِصرَ رباطُ الإسكندريةِ الذي رابطَ فيهِ العلماءُ، والزهادُ والعبادُ، والمجاهدونَ، والأبطالُ والشجعانُ.

قالَ أبو الزنادِ صاحبُ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ: خيرُ سواحلِكمْ رباطًا الإسكندريةُ.

وقالَ سفيانُ بنُ عيينةَ يومًا لأحمدَ بنِ صالحٍ: يا مصريُّ أينَ تسكنُ؟ قالَ: الفسطاطُ، قالَ: فأتِ الإسكندريةَ فإنَّها كنانةُ اللهِ التي يجعلُ فيها خيرَ سهامِهِ.

عندَنا جامعُ عمروِ بنِ العاصِ، صاحبِ رسولِ اللهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ، وهوَ أولُ جامعٍ بُنِيَ في قارةِ إفريقيا، وقدْ ضُبطتْ قبلتُهُ جماعةٌ منَ الصحابةِ قُدِّروا بثمانينَ صحابيًّا، اجتمعوا عندَهُ عندَ بنائِهِ، وقدَّروا قبلتَهُ ووجهوهُ إليها.

وعندَنا الجامعُ الأزهرُ الذي لهُ الفضلُ المشهورُ، والعلمُ المنشورُ، والتقدمُ الكاسرُ، والارتفاعُ القاهرُ. العلماءُ فيهِ متكاثرونَ، والعبادُ فيهِ قائمونَ، والزوارُ إليهِ متوافدونَ.

مِصرُ قادةُ الأمةِ الإسلاميةِ أكثرَ منْ ٢٦٥ سنةً، كانتِ الخلافةُ في مِصرَ منْ بعدِ انقطاعِ الخلافةِ منْ بغدادَ، كانتِ الخلافةُ في مِصرَ، وهيَ التي تقودُ بلادَ الإسلامِ.

أما أهلُ مِصرَ فيكفيهمْ شرفًا وفخرًا أنَّ اللهَ تعالى اختارَ منهمُ الأنبياءَ، وجعلَ اللهُ تعالى الأنبياءَ يسكنونَ بينَ ظهرانيهِمْ.

فهذا الخليلُ إبراهيمُ شيخُ الموحدينَ، وأفضلُ المرسلينَ، وجدُّ خاتمِ النبيينَ، أتى مِصرَ معَ زوجِهِ سارةَ، وتزوجَ هاجرَ المصريةَ.

وهذا يعقوبُ عليهِ السلامُ دخلَها معَ أبنائِهِ الأنبياءِ، فيها توفوا، ودُفنوا فيها.

وهذا يوسفُ عليهِ السلامُ سكنَ مِصرَ، وحكمَ فيها، وتوفيَ ودُفنَ فيها.

وهذانِ موسى وهارونُ عليهما السلامُ وُلدا في مِصرَ، وعاشا فيها.

وهذا يوشعُ بنُ نونٍ، وُلدَ في مِصرَ، وعاشَ فيها.

وهذا الخضرُ.

وهذا أيوبُ وأشعيا وأرميا عليهمْ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ، كلهمْ دخلَ مِصرَ، ومنهمْ منْ ماتَ فيها.

وقدْ ضربَ اللهُ تعالى بأبطالِ مِصرَ أمثلةً في كتابِهِ. فمنَ المصريينَ مؤمنُ آلِ فرعونَ البطلُ الثابتُ على الحقِّ، الذي قالَ اللهُ جلَّ وعلا عنهُ: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) [غافرَ: ٢٨].

ومنَ المصريينَ الرجلُ المؤمنُ الذي حذرَ موسى عليهِ السلامُ: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) [القصصِ: ٢٠].

ومنَ المصريينَ السحرةُ الذينَ ذكرَ اللهُ تعالى قصتَهمْ لما آمنوا وصدقوا، وكانوا في أولِ النهارِ سحرةً فجرةً، وصاروا في آخرِ النهارِ شهداءَ بررةً. إنَّها بلادُ الأبطالِ.

قَارَنْتُ مِصْرَ بِغَيْرِهَا، فَتَدَلَّلَتْ *** وَعَجِزْتُ أَنْ أَحْظَى لَهَا بِمَثِيلِ

هَذِي الْحَضَرَةُ مُعْجِزَاتٌ فِي الْوَرَى *** عَقِمَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهَا كَبَدِيلِ

رَفَعَ الْإِلَهُ مَقَامَهَا وَأَجَلَّهُ *** فِي الذِّكْرِ وَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ

جَاءُوا بِيُوسُفَ مِنْ غَيَاهِبِ ظُلْمَةٍ *** أَرْضَ الْعَزِيزِ فَكَانَ خَيْرَ نَزِيلِ

وَالنِّيلُ يَتْبَعُ وَحْيَ مُنْشِئِ قَطْرِهِ *** كَالطَّيْرِ حِينَ الْوَحْيِ عَامَ الْفِيلِ

فِي طُورِ سَيْنَاءَ تَجَلَّى رَبُّنَا *** فَوْقَ الْكَلِيمِ بِأَوَّلِ التَّنْزِيلِ

وَكَذَا الْبَتُولُ أَتَتْ لِمِصْرَ بِابْنِهَا *** تَبْغِي الْأَمَانَ وَتَحْتَمِي بِمَقِيلِ

يَكْفِيكِ يَا أَرْضَ الْكِنَانَةِ هَاجَرٌ *** مِيلِي بِتِيهٍ يَا كِنَانَةُ مِيلِي

يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَصْلُكِ وَاجِبٌ *** مَنْ عَقَّ مِصْرَ فَقَدْ أَتَى بِجَلِيلِ

هَذِي عِنَايَةُ قَادِرٍ خُصَّتْ بِهَا *** مِصْرٌ لِتَبْقَى مَوْضِعَ التَّفْضِيلِ

بُورِكْتِ مِصْرُ فَلَا أَرَانِيَ بَالِغًا *** حَقَّ الْمَدِيحِ وَإِنْ جَهَدْتُ سَبِيلِي

يَا مِصْرُ يَرْعَاكِ الْإِلَهُ كَمَا رَعَى *** تَنْزِيلَهُ مِنْ عَابِثٍ وَدَخِيلِ***

أما نساءُ مِصرَ فيكفي المصرياتِ فخرًا وعزًّا وشرفًا أنَّ سيدَ الأنبياءِ محمدًا صلى اللهُ عليهِ وسلمَ كانتْ جدتُهُ هاجرُ مصريةً، وأمُّ ولدِهِ ماريةُ مصريةً، ويكفي المصرياتِ فخرًا أنَّ ماءَ زمزمَ تفجرَ إكرامًا لامرأةٍ مصريةٍ، ولابنِها هاجرَ وابنِها إسماعيلَ.

ويكفي المصرياتِ فخرًا أنَّ هاجرَ المصريةَ لما سعتْ بينَ الصفا والمروةِ خلَّدَ اللهُ تعالى فعلَها، وأمرَ اللهُ تعالى الأنبياءَ وسائرَ الأولياءِ والحجاجِ والمعتمرينَ بأنْ يسعوا كسعيِها.

ويكفي المصرياتِ فخرًا أنَّ أمَّ موسى عليهِ السلامُ مصريةٌ، وأنَّ آسيا امرأةَ فرعونَ مصريةٌ، التي قالَ اللهُ عنها: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ **إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**) [التحريم: ١١].

ويكفي المصرياتِ فخرًا أنَّ المرأةَ الصالحةَ التي كانتْ ماشطةً لبنتِ فرعونَ كانتْ مصريةً، وقدْ قالَ نبينا عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «لما كانتِ الليلةُ التي أُسريَ بي فيها، أتتْ عليَّ رائحةٌ طيبةٌ، قلتُ: يا جبريلُ ما هذهِ الرائحةُ؟ قالَ: هذهِ رائحةُ ماشطةِ بنتِ فرعونَ وأولادِها». رواهُ الحاكمُ.

أيُّها الإخوةُ المسلمونَ: إنَّ أهلَ مِصرَ همْ منْ ألينِ الناسِ تعاملًا، وأحسنِهمْ أخلاقًا وأدبًا.

قالَ تاجُ الدينِ الفزاريُّ: منْ أقامَ في مِصرَ سنةً واحدةً وُجدَ في أخلاقِهِ رقةٌ وحسنٌ.

وقالَ ابنُ ظهيرةَ عنْ أهلِ مِصرَ: حلاوةُ لسانِهمْ، وكثرةُ مودتِهمْ للناسِ، ومحبتُهمْ للغرباءِ، ولينُ كلامِهمْ، وحسنُ فهمِهمْ للشريعةِ، معَ حسنِ أصواتِهمْ، وطيبِ نغماتِهمْ وشجاها، وطولِ أنفاسِهمْ وأعلاها، فمؤذنوهمْ إليهمُ الغايةُ في الطيبِ، ووعاظُهمْ إليهمُ المنتهى في الإجادةِ والتطريبِ، ونساؤُها أرقُّ نساءِ الدنيا طبعًا، وأحلاهنَّ صورةً ومنطقًا، وأحسنُهنَّ شمائلَ، وأجملُهنَّ ذاتًا.

وما زلتُ أسمعُ قديمًا عنِ الشافعيِّ أنَّهُ قالَ: منْ لمْ يتزوجْ بمصريةٍ لمْ يكتملْ إحصانُهُ.

أيُّها الإخوةُ المسلمونَ: لقدْ سكنَ مِصرَ بعدَ فتحِها جماعةٌ منْ صحابةِ سيدِنا رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ، ولوْ أحصينا عددَ الصحابةِ الذينَ دخلوا مِصرَ، أو سكنوا فيها، أو زاروها، أو حكموها، أو دُفنوا في ترابِها، لتعدوا أكثرَ منْ ٣٥٠ صحابيًّا، كلهمْ قدْ أتوا إلى مِصرَ.

منهمْ منْ جاءَها رسولًا إليها، أو حاكمًا لها، أو مجاهدًا فيها، أو معلمًا لأهلِها.

منهمْ عمروُ بنُ العاصِ، وعبدُ اللهِ بنُ أبي السرحِ، وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ، وكلهمْ قدْ ولِيَ مِصرَ.

ومنهمْ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حرامٍ، ومنهمُ الزبيرُ بنُ العوامِ، وعبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ، وعبادةُ بنُ الصامتِ، وعبدُ اللهِ بنُ عباسٍ، وعمارُ بنُ ياسرٍ، وأبو أيوبَ الأنصاريُّ، وأبو ذرٍّ الغفاريُّ، وأبو الدرداءِ، وأبو هريرةَ، وعبدُ اللهِ بنُ الحارثِ بنِ جزءٍ الزبيديُّ، وهوَ آخرُ صحابيٍّ ماتَ بمِصرَ.

٣٥٠ صحابيًّا تخيرتُ أبرزَهمْ، لكنْ كلهمْ قدْ سكنوا مِصرَ أو زاروها.

وفي مِصرَ وُلدَ خامسُ الخلفاءِ الراشدينَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ.

أيُّها الإخوةُ المسلمونَ: إذا تكلمنا عنْ مِصرَ فإنَّنا نتكلمُ عنْ بلادِ العلماءِ الذينَ وصلَ أثرُهمْ إلى كلِّ الدنيا، منهمْ صحابةٌ كرامٌ، وتابعونَ أعلامٌ، منهمُ: الليثُ بنُ سعدٍ، وهوَ إمامُ المصريينَ، الذي قالَ فيهِ الشافعيُّ: الليثُ بنُ سعدٍ أعلمُ منْ مالكٍ.

ومنهمُ القارئُ ورشٌ، إذا سمعتَ منْ يقولُ: على قراءةِ ورشٍ، فاعلمْ أنَّهُ مصريٌّ.

اليومَ أكثرُ أهلِ إفريقيا وأهلِ المغربِ يقرؤونَ بقراءةِ هذا المصريِّ، ومنهمُ الإمامُ المحدثُ: عبدُ اللهِ بنُ لهيعةَ، ومنهمُ: الشافعيُّ الإمامُ، ولهُ أئمةٌ كثرٌ، كلهمْ منْ طلابِهِ، وكلهمْ منَ المصريينَ.

ومنهمْ سعيدُ بنُ كثيرِ بنِ عفيرٍ، وكانَ إمامًا عالمًا، قالَ عنهُ يحيى بنُ معينٍ إمامُ الجرحِ والتعديلِ لما سُئلَ عنْ مِصرَ قالَ: رأيتُ في مِصرَ ثلاثَ عجائبَ: النيلَ، والأهرامَ، وسعيدَ بنَ كثيرِ بنِ عفيرٍ. وكانَ عالمًا إمامًا.

ومنهمْ عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ صاحبُ السيرةِ النبويةِ المشهورةِ، ومنهمُ الإمامُ الطحاويُّ الذي ألَّفَ العقيدةَ الطحاويةَ، وهيَ تُدرَّسُ اليومَ في كلِّ الدنيا لطلابِها، وتُدرَّسُ في أنحاءِ الدنيا، ألَّفها الإمامُ الطحاويُّ المصريُّ، ومنهمُ الإمامُ ابنُ النحاسِ، ومنهمُ: القاضي عبدُ الوهابِ المالكيُّ، ومنهمْ شيخُ الحنابلةِ: الحافظُ عبدُ الغنيِّ المقدسيُّ. فإذا ذكرتَ الحنابلةَ، وذكرتَ الفقهَ الحنبليَّ، رجعتَ لزامًا إلى عبدِ الغنيِّ المقدسيِّ، وكانَ قدْ خرجَ منَ الشامِ، وسكنَ في مِصرَ.

ومنهمُ الإمامُ البطلُ: العزُّ بنُ عبدِ السلامِ، ومنهمْ ابنُ خلكانَ صاحبُ وفياتِ الأعيانِ، ومنهمُ القارئُ العظيمُ الذي تحفظُ منظومتَهُ طلابٌ وطالباتٌ كثرٌ في أنحاءِ الدنيا، الإمامُ الشاطبيُّ، ومنْ الذي لا يعرفُ الشاطبيَّ، وهوَ الذي ألَّفَ منظومةً في ألفِ بيتٍ في تلاوةِ القرآنِ وقراءتِهِ، ثمَّ أخذَ المنظومةَ وألَّفها، وطافَ ألفَ أسبوعٍ حولَ الكعبةِ، والأسبوعُ هوَ سبعةُ أشواطٍ، طافَها، ثمَّ جعلَ يدعو اللهَ تعالى وهوَ يطوفُ أنْ يباركَ في هذهِ المنظومةِ، وقدِ انتشرتْ انتشارًا عظيمًا.

مما قالَ فيها، يقولُ وبعدُ:

وَبَعْدُ فَحَبْلُ اللهِ فِينَا كِتَابُهُ ** فَجَاهِدْ بِهِ حِبْلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلَا

وَأَخْلِقْ بِهِ إِذْ لَيْسَ يَخْلُقُ جِدَّةً ** جَدِيدًا مُوَالِيهِ عَلَى الْجِدِّ مُقْبِلَا

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ ** وَأَغْنَى غَنَاءً وَاهِبًا مُتَفَضِّلَا

وَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ ** وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلَا

وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ ** مِنَ الْقَبْرِ يَلْقَاهُ سَنًى مُتَهَلِّلَا

هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلًا وَرَوْضَةً ** وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَى

فَيَا أَيُّهَا الْقَارِئُ بِهِ مُتَمَسِّكًا ** مُجِلًّا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلَا

هَنِيئًا مَرِيئًا وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا ** مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلَا

فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ ** أُولَئِكَ أَهْلُ اللهِ وَالصَّفْوَةُ الْمَلَا

أُولُو الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالصَّبْرِ وَالتُّقَى ** حُلَاهُمْ بِهَا جَاءَ الْقُرْآنُ مُفَصَّلَا
عَلَيْكَ بِهَا مَا عِشْتَ فِيهَا مُنَافِسًا ** وَبِعْ نَفْسَ الدُّنْيَا بِأَنْفَاسِهَا الْغُلَا
جَزَى اللهُ بِالْخَيْرَاتِ عَنَّا أَئِمَّةً ** لَنَا نَقَلُوا الْقُرْآنَ عَذْبًا وَسَلْسَلَا

ومنَ المصريينَ مؤلفُ كتابِ: الترغيبِ والترهيبِ، عبدُ العظيمِ المنذريُّ.

ومنَ المصريينَ: الإمامُ القرافيُّ، وهوَ منْ أذكياءِ العالمِ، ومنْ أئمةِ الدنيا، ومنْ أعيانِ المذهبِ المالكيّ.

ومنَ المصريينَ: ابنُ دقيقِ العيدِ، الذي لمْ ترَ الدنيا مثلَهُ أبدًا.

ومنهمْ خليلٌ المالكيُّ، إذا سمعتَ: بمختصرِ خليلٍ، الذي يعولُ عليهِ المالكيةُ اليومَ في دروسِهمْ وجامعاتِهمْ، فاعلمْ أنَّهُ مصريٌّ.

ومنهمْ ابنُ هشامٍ النحويُّ.

ومنهمُ الإمامُ الهيثميُّ، صاحبُ كتابِ: مجمعِ الزوائدِ.

ومنهمْ ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ، الذي ألَّفَ: فتحَ الباري في شرحِ صحيحِ البخاريّ.

ومنهمْ محمودُ العينيُّ، الذي ألَّفَ: عمدةَ القاري في شرحِ صحيحِ البخاريّ، وإليهِ يُنسبُ اليومَ قصرُ العينيّ في مِصرَ.

ومنهمُ المقريزيُّ، ومنهمُ الإمامُ صاحبُ كتابِ: تفسيرِ الجلالينِ، الإمامُ جلالُ الدينِ المحليُّ، الذي أتمَّهُ بعدَ ذلكَ الإمامُ السيوطيُّ، وكلاهما مصريٌّ.

ومنهمُ الحافظُ السيوطيُّ.

ومنهمْ شيخُ الإسلامِ زكريا الأنصاريُّ، الذي وصلَ عمرُهُ مائةَ سنةٍ، والذي لمْ يتركْ صلاةَ الليلِ إلى أنْ ماتَ.

ومنهمُ الإمامُ الشيخُ عليُّ بنُ أحمدَ الصعيديُّ العدويُّ، منْ سلالةِ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ.

ومنهمُ الشيخُ أحمدُ الدرديرُ، وكانَ عبدًا عالمًا صالحًا، جلسَ في الأزهرِ يومًا يعلمُ طلابَهُ، فلما دخلَ أحدُ الولاةِ، وكانَ يريدُ أنْ يستميلَ المشايخَ لبعضِ الفتاوى التي يريدُها؛ لإلزامِ بعضِ الناسِ بأمورٍ، فقامَ الطلابُ خائفينَ منْ كثرةِ الجندِ، ومبجلينَ لهذا الوالي، فأخذَ مصحفًا ووضعَهُ في حجرِهِ، وجعلَ يتلو القرآنَ، وقدْ مدَّ رجلَيْهِ، فمرَّ بهِ الوالي، فقالَ: منْ هذا؟ قالوا: هذا الشيخُ أحمدُ الدرديرُ. قالَ: فلماذا لمْ يقمْ لما رآني؟ فحاولوا أنْ يعتذروا لهُ، فحنقَ عليهِ هذا الوالي، ثمَّ ذهبَ الوالي إلى قصرِهِ، وأخذَ صرةً، أرسلَها معَ أحدِ العبيدِ، قالَ: أعطِها لذلكَ الشيخِ الذي كانَ مادًّا رجلَيْهِ لما مررنا بهِ. فلما أقبلَ إليهِ ذلكَ العبدُ وناولَهُ الصرةَ، علمَ الشيخُ أنَّ ذلكَ الرجلَ أرادَ أنْ يذلَّهُ بقبولِ المالِ، فنظرَ إلى هذا الرسولِ، وقالَ لهُ: ارجعْ إلى منْ أرسلَكَ، وقلْ لهُ: إنَّ الذي يمدُّ رجلَيْهِ لا يمدُّ يدَيْهِ.

إنَّ الذي يمدُّ رجلَيْهِ لا يمدُّ يدَيْهِ.

أما أبطالُ مِصرَ ومجاهدوها، فالكلامُ عنهمْ يطولُ كثيرًا. منهمُ القائدُ: حسامُ الدينِ، وكانَ قائدًا للأسطولِ البحريِّ المصريِّ، وكانَ شوكةً في حلقِ الأفرنجةِ، قالَ عنهُ الإمامُ ابنُ كثيرٍ: كانَ كالبحرِ في البحرِ، فكمْ منْ شجاعٍ أُسرَ، وكمْ منْ مركبٍ كُسرَ، وكمْ منْ أسطولٍ فُرِّقَ شملُهُ، وقاربٍ غرقَ أهلُهُ، معَ كثرةِ الصدقاتِ. قالَ: ولما عملَ أرناطُ الصليبيُّ مراكبَ وأسطولًا، وجعلَها في البحرِ الأحمرِ؛ ليغزوا مدينةَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ، انطلقَ إليهِ حسامُ الدينِ بأسطولِهِ المصريِّ، ودكَّ أسطولَ الأفرنجةِ، حتى قتلَهمْ عنْ آخرِهمْ.

ومنْ أبطالِ مِصرَ الذينَ سكنوها: صلاحُ الدينِ الأيوبيُّ، الذي فتحَ بيتَ المقدسِ.

أيُّها الإخوةُ المسلمونَ، بلْ أيتها الدنيا كلُّها: لنْ ينسى التاريخُ أبطالَ مِصرَ الذينَ ردوا الحملةَ الصليبيةَ التي قادَها ملكُ فرنسا، واستولى على دمياطَ، فكمنَ لهُ الأبطالُ في مِصرَ، وأذاقوهُ سوءُ العذابِ، وأبادوا جيشَهُ، وكانوا عشراتِ الآلافِ، ثمَّ أخذوا هذا القائدَ الفرنسيَّ، وحبسوهُ في دارٍ تسمى: دارَ ابنِ لقمانَ في المنصورةِ، ووضعوا القيودَ في يدَيْهِ ورجلَيْهِ، ووكلوا بهِ حارسًا يسمى: صبيحًا، ثمَّ فدى نفسَهُ بأموالٍ كثيرةٍ عظيمةٍ، فأطلقَ، ثمَّ لما وصلَ إلى بلدِهِ حدثتْهُ نفسُهُ أنْ يعودَ مرةً أخرى لغزوِ مِصرَ، وجعلَ يجندُ الجندَ، فأرسلَ إليهِ جمالُ الدينِ بنُ مطروحٍ قصيدةً يقولُ فيها:

قلْ للفرنسيسِ إذا جئتَهُ
مقالَ صدقٍ منْ قؤولٍ فصيحِ
أتيتَ مِصرَ تبتغي ملكَها
تحسبُ أنَّ الزمرَ يا طبلُ ريحُ
وكلُّ أصحابِكَ أودعتَهمْ
بحسنِ تدبيرِكَ بطنَ الضريحِ
وفقكَ اللهُ لأمثالِها
لعلَّ عيسى منكمْ يستريحُ
آجركَ اللهُ على ما جرى
منْ قتلِ عبادِ يسوعَ المسيحِ
فساقكَ الحينُ إلى أدهمٍ
ضاقَ بهِ عنْ ناظرَيْكَ الفسيحُ
خمسونَ ألفًا لا يُرى منهمْ
إلا قتيلٌ أو أسيرٌ جريحُ
وقلْ لهمْ إنْ أضمروا عودةً
لأخذِ ثأرٍ أو لقصدٍ صحيحِ

دارُ ابنِ لقمانَ على حالِها

والقيدُ باقٍ والطواشي صبيحٌ.

فلما وصلتِ القصيدةُ إليهمْ فزعوا واضطربوا، وعدلوا عنْ غزوِ مِصرَ.

ومنَ المصريينَ الأبطالِ: سلطانُ المماليكِ: قطزُ، وهوَ الذي قادَ معركةَ عينِ جالوتَ.

ومنَ المصريينَ الأبطالِ ضباطٌ وجنودٌ شاركوا في حروبِ فلسطينَ، وحربِ ٧٣ بقيادةِ الرئيسِ المؤمنِ: محمدِ أنورِالساداتِ، وغيرِها منْ مواضعِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ.د

إذا ذكرتَ مِصرَ وتاريخَها ذكرتَ العبادَ والزهادَ، ذكرتَ حيوةَ بنَ شريحٍ، وذكرتَ أبا محمدِ بنَ سهلٍ، وكانَ عابدًا صالحًا، آمرًا بالمعروفِ، داعيًا إلى العقيدةِ الصحيحةِ، وكانَ يذمُّ العُبيديينَ الشيعةَ الذينَ حكموا مِصرَ فترةً، فجاءَ بهِ الخليفةُ العبيديُّ، وقالَ لهُ: سمعنا أنكَ تقولُ: لوْ أنَّ معي عشرةَ أسهمٍ لرميتُ الصليبيينَ بواحدٍ، ورميتُ العُبيديينَ بتسعةٍ، فهلْ صحيحٌ أنكَ قلتَ ذلكَ؟ فقالَ: لمْ أقلْ هذا. قالَ: إذًا ماذا قلتَ؟ قالَ: قلتُ: لوْ معي عشرةُ أسهمٍ لرميتُ العبيديينَ بتسعةٍ، ورميتُ العاشرَ فيهمْ أيضًا، فإنكمْ غيرتمُ الملةَ، وتنقصتمُ القرآنَ، وذممتمْ صحابةَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ، ووقعتمْ في عرضِهِ، وغيرتمُ الدينَ، وقتلتمْ أهلَ السنةِ. قالَ: فغضبَ عليَّ، فأمرَ بهِ وربطَ، ثمَّ دعا رجلًا يهوديًّا، فقالَ: قطِّعْ لحمَهُ حتى يموتَ، فجعلَ يقطعُ لحمَهُ قطعةً قطعةً، وهوَ يتلو القرآنَ، وذلكَ اليهوديُّ يسلخُ جلدَهُ سلخًا كما تُسلخُ الشاةُ، وذاكَ العبيديُّ ينظرُ إليهِ، حتى رقَّ لهُ اليهوديُّ، وطعنَهُ بالسكينِ في قلبِهِ ليقتلَهُ، حتى يريحَهُ منْ كثرةِ العذابِ.

في مِصرَ أيها المسلمونَ منَ الأدباءِ والكتابِ والشعراءِ أعدادٌ لا يُستهانُ بها، ممنْ زاروها أو كانوا منْ أهلِها، فإذا قرأتَ الشعرَ الرائقَ لجميلِ بثينةَ، وهوَ منْ أفصحِ الشعراءِ، فاعلمْ أنَّهُ مصريٌّ، وإذا قرأتَ الشعرَ الرائقَ لكثيرِ عزةَ، فاعلمْ أنَّهُ مصريٌّ، وإذا قرأتَ شعرًا لأبي نواسٍ، فاعلمْ أنَّهُ مصريٌّ، وإذا قرأتَ للشاعرِ الشهيرِ المتنبي أحمدِ بنِ الحسينِ، فاعلمْ أنَّهُ أقامَ بمِصرَ أربعَ سنواتٍ.

إنكَ تتكلمُ عنْ بلدٍ عظيمٍ، لا يزالُ لهُ إلى اليومِ ما يؤملُ لهُ قيادةً للأمةِ، ومنَ السيرِ على منهاجِ أجدادِكَ منْ صحابةِ رسولِ اللهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ.

المصريونَ لا تكادُ تجدُ أحدًا منَ القراءِ في العالمِ، منْ قراءِ القرآنِ، وممنْ معهمْ إجازاتٌ وأسانيدُ إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ في حفظِ القرآنِ، إلا وجدتَ للمصريينَ عليهِ يدًا، إما أنَّ مصريًّا أقرأهُ، أو حفظَ القرآنَ على مصريٍّ، أو ضبطَ تجويدَهُ مصريٌّ، أو كتبَ لهُ هذا السندَ مصريٌّ، وما تكادُ تجدُ إلى اليومِ حتى المشايخَ والعلماءَ في الأرضِ كلِّها، إلا وتجدُ منهمْ منْ قرأَ على مصريٍّ، أو درسَهُ في الجامعةِ مصريٌّ، أو صلى بهِ إمامًا يومًا منَ الأيامِ مصريٌّ.

ولا ينكرُ فضلَ هؤلاءِ العلماءِ أحدٌ.

مدرسوها وأساتذتُها لهمْ فضلٌ كبيرٌ على العربِ، وعلى المسلمينَ، بلْ على جميعِ العالمِ، في مساجدِهمْ، وجامعاتِهمْ، ومدارسِهمْ، ولمِصرَ منَ العلماءِ في الطبِّ، وفي الذرةِ، وفي الهندسةِ، وفي الدعوةِ، وفي الأدبِ، وفي غيرِ ذلكَ أمرٌ لا يُدركُ شأوُهُ أبدًا.

أسألُ اللهَ تعالى أنْ يحفظَ جميعَ بلدانِ المسلمينَ عامةً، وأنْ يحفظَ مِصرَ خاصةً، وأسألُ اللهَ تعالى أنْ يجمعَ شملَنا، وأنْ يحفظَ ديارَنا. اللهمَّ احفظْ مِصرَ بحفظِكَ، واكلأها برعايتِكَ، اللهمَّ منْ أرادَها بسوءٍ، أو دبَّرَ لها مكائدَ سوءٍ، فرُدَّ كيدَهُ في نحرِهِ، واجعلْ تدبيرَهُ تدميرًا عليهِ، يا قويُّ يا عزيزُ يا ربَّ العالمينَ.

اللهمَّ صلِّ على محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ، كما صليتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ، إنكَ حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ، كما باركتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ، إنكَ حميدٌ مجيدٌ.

الخطبةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ على إحسانِهِ، والشكرُ لهُ على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ تعظيمًا لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، الداعي إلى رضوانِهِ، صلَّى اللهُ وسلمَ وباركَ عليهِ، وعلى آلِهِ، وإخوانِهِ، وخلانِهِ، ومنْ سارَ على نهجِهِ، واقتفى أثرَهُ، واستنَّ بسنتِهِ إلى يومِ الدينِ.

أما بعدُ:

أيُّها الإخوةُ المسلمونَ، فإنَّ اللهَ تعالى أمرَ بالإحسانِ والتقوى، ونهى اللهُ تعالى عنِ الفرقةِ والشتاتِ، نسألُ اللهَ تعالى لإخوانِنا في مِصرَ، وفي غيرِها، أنْ يجمعَ اللهُ تعالى شملَهمْ، وأنْ يصبَّ عليهمُ الخيرَ صبًّا صبًّا، ولا يجعلْ عيشَهمْ كدًّا كدًّا. اللهمَّ نسألُكَ لكلِّ بلدانِنا، يا حيُّ يا قيومُ، الخيرَ كلَّهُ عاجلَهُ وآجلَهُ.

اللهمَّ إنا نسألُكَ لأهلِنا في كلِّ أرضٍ منْ أرضِكَ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، أنْ تولِيَ عليهمْ خيارَهمْ، وأنْ تصرفَ عنهمْ شرارَهمْ، وأنْ تجمعَ شملَهمْ، وتؤلفَ قلوبَهمْ، وأنْ تصبَّ عليهمُ الخيرَ صبًّا صبًّا، يا ربَّ العالمينَ. اللهمَّ إنا نسألُكَ عيشَ السعداءِ، وموتَ الشهداءِ، والحشرَ معَ الأتقياءِ، ومرافقةَ الأنبياءِ، ونعوذُ بكَ ربَّنا منْ جهدِ البلاءِ، ودركِ الشقاءِ، وسوءِ القضاءِ، وشماتةِ الأعداءِ.

اللهمَّ إنا نسألُكَ أنْ تنصرَ مِصرَنا في كلِّ مكانٍ وزمانٍ، اللهمَّ انصرْ إخوانَنا المجاهدينَ في كلِّ مكانٍ، اللهمَّ أيدْهمْ بتأييدِكَ، اللهمَّ انصرْهمْ بنصرِكَ، اللهمَّ اجعلِ الدائرةَ لهمْ، يا قويُّ يا عزيزُ يا ربَّ العالمينَ. اللهمَّ إنا نسألُكَ، يا حيُّ يا قيومُ، أنْ تشفيَ مريضَنا، وأنْ ترحمَ ميتَنا، وتتقبلَ شهيدَنا، وتشفِ صدورَ قومٍ مؤمنينَ، يا ربَّ العالمينَ.

أ.د. عبد الغني الغريب